مجلة العلوم التربوية والنفسية
العدد الحادي عشر – المجلد الثالث
يونيو 2019 م
ISSN: 2522-3399

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

قراءة في كتاب (تفكيك الكليات: التفكيك العظيم لنظام التعليم الجامعي) للكاتب الأمريكي: ريان كريج

أميرة علي الحطاب
إدارة التدريب والابتعاث || وزارة التعليم || المملكة العربية السعودية

الملخص : يرى الكاتب أن التعليم العالي يواجه نقلة كبيرة مع تزايد حجم الإنترانت في التعليم، والطريقة الوحيدة -برأي الكاتب- للبقاء في سوق التعليم العالي هو مواكبة هذا التغيير من خلال تفكيك النظام التقليدي للتعليم العالي. كما يناقش الكتاب الخلل الظاهر في نظام التعليم العالي الأمريكي – بحسب رأي الكاتب ريان كريج- وما ينبغي أن يحققه التعليم مقابل ما هو عليه الآن، حيث يقارن الكتاب بين الجامعات الكبرى التي تمتلك أوقافاً وتلك التي لا تمتلك أوقافاً وتنافس في مجال التعليم العالي وتسعى أن تكون مماثلة لهارفرد وجامعات النخبة. ويرى أن على نظام التعليم الأمريكي أن يؤسس نظاماً من طبقتين: هارفرد ومثيلاتها يستفيد منها طلاب النخبة، ونظام أرخص يسخّر الإنترنت والتكنولوجيا ليستفيد باقي الطلاب. بحيث يستطيعون الحصول على مقابل لما يدفعونه بدلا من دفع رسوم دراسية ضخمة تذهب لدعم جامعة لا تفيدهم ومبانٍ لا تعزز تعلمهم. ويرى الكاتب أن الباعث للتوجه لهذا النوع من التعليم هو التزايد الواسع لانتشار الإنترنت والتكاليف الضخمة التي يتطلبها التعليم بشكله التقليدي، مما يحتم إيجاد حل وسيط لهذه المشكلات والتغيرات في سوق التعليم العالي.

تعريف بالكتاب والمؤلف

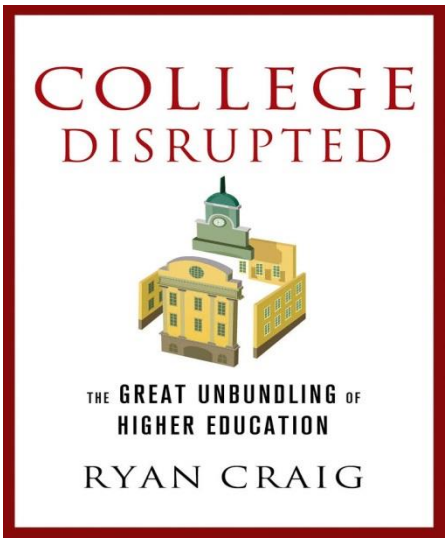

- العنوان: تفكيك الكليات: التفكيك العظيم لنظام التعليم العالي
- المؤلف: ريان كريغ
- المجال: التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية
- دار النشر: دار مارتنز Martin's Press ، نيويورك
- سنة النشر: 10 مارس 2015م
- عدد الصفحات: 256 صفحة
- عدد الفصول: 12 فصلاً
- لغة الكتاب : الإنجليزية
- أبعاد الكتاب : 9.5 x 0.9 x 6.4 انش
- ردمك : 879-1-731-96972-9

- كريج، ريان.(2015). تفكيك الكليات: التفكيك العظيم لنظام التعليم العالي. نيويورك : دار مارتنز. ردمك 9-879-1-731-96972

المقدمة:

يستخدم الكاتب مصطلح التفكيك دلالة على أن التعليم العالي بشكله العادي عبارة عن حزمة من الخدمات المتعددة تتضمن مقررات، أنشطة، رياضة، خدمات، مرافق، والطالب لا يحتاجها جميعاً لكي يحصل على درجة تفيده في حياته المهنية. وبالطبع تكلفة هذه الحزمة مجمعة ستكون مرتفعة على الرغم من أن بعضها لا يخدم تعلم الطالب. ومن هنا انطلقت فكرته في ضرورة تفكيك التعليم العالي، وتمكين الطالب من اختيار العناصر التي تخدم تعلمه فقط، وتضيف إلى مهاراته بعيداً عن العناصر التي يثقل بها. ويرى أن التجميع هو حيلة تسويقية ذكية يلجأ لها الباعة (الجامعات) حتى لو كانت حاجتك عنصراً أو عنصرين فقط من هذه الحزمة.

ويقع الكتاب في مئتين وست وخمسين صفحة، ويتكون من اثني عشر فصلاً يناقش كل فصل أفكاراً مختلفة عن التعليم العالي. كما أن فكرة الاستثمار والجانب الاقتصادي كانت جليةً وواضحةً فيه. ولعل ذلك يعود لكون الكاتب (ريان كريج) مدير جامعة استثمارية University Ventures (UV) بالإضافة إلى عمله في قطاعات تعليمية سابقة منها جامعة كولومبيا.

في كتابه تفكيك التعليم العالي يرى كريج أن أحد مزايا التعليم العالي الأمريكي هو التنوع الكبير داخله وهذا يجعل المنافسات شديدة بين المؤسسات التعليمية. فجميعها تسعى لأن تكون مشابهه لهارفرد. إذ تركز المؤسسات على ما اسماه ال4Rs ، ويقصد بها الحروف الأولى من الكلمات: التصنيف Ranking، الأبحاث Research، الأملاك Real estate، الأنشطة الرياضية Rah، وجميعها تستلزم تكاليف تعمل على رفع التكلفة على الطالب بعيداً عن عمل المناهج الدراسية.

تناول الكاتب في الفصل الأول ما أسماه حزمة الفرح وقصد بها الخدمات المجمعة التي تقدمها الجامعات وترغم الطالب على الدفع لكافة الحزمة حتى لو لم يكن محتاجاً لها جميعها. ثم في الثلاث فصول اللاحقة تناول أزمة التكاليف وأزمة الحوكمة وأزمة البيانات. ثم انتقل في الفصل الخامس إلى ظاهرة الدورات التدريبية الجماعية المجانية عبر الإنترنت وشروط تصميمها. ثم شرح في الفصل السادس ما يقصده بالتفكيك العظيم، وتلاه في الفصل السابع إجراءات تنفيذ التفكيك، ولشرح عملية التفكيك ذكر عدداً من المشكلات واقترح لها بعض الحلول. ثم تحدث في الفصل الثامن عن إمكانية تصدير التعليم العالي الأمريكي للدول الأخرى لما يتسم به من الجودة والسمعة والانتشار؛ بحيث يصدر كبرامج مستقلة أو حزمة مفككة. ثم في الفصل التاسع تحدث عن إدارة التغيير نحو نموذج التعليم الجديد والقيود التي تمنع الكثير من الجامعات من التجربة والابتكار وكيفية الانفصال عن هذه القيود. في الفصل العاشر والذي أسماه قصة مدينتين، قارن بين الجامعات الهادفة للربح وتلك التي لا تهدف للربح وأثرها في قيادة التعليم عبر الإنترنت. وخصص الفصل الحادي عشر لانتقاد إجراءات وزارة التعليم الأمريكية التي تسن لوائح تعيق التحضير للتفكيك والتعليم عبر الإنترنت بشكل عام. في الفصل الثاني عشر بسط فكرته بالحديث عن نظام تعليم عالي قادم يتكون من طبقتين وهو جامعات النخبة المجمعة وجامعات مفككة متاحة لأي شخص آخر.

وتميز الكتاب بأنه إجراءات عملية وحلول للمشكلات التي تواجه برنامج الأداء المؤسسي وعروض الدورات التدريبية ودور الحكومة. وهذه الحلول والأفكار التي طرحها الكاتب يمكن الاستفادة منها في تطوير نظم التعليم التقليدية التي تميز كثير من الجامعات العربية. ولعل فكرة نظم التعليم المفتوحة التي يدعوا إليها الكاتب تخلق جواً تنافسياً في حال تم تصميمها بطرق تحظى بالاعتماد والقبول من جهات التوظيف.

تناقش فصول الكتاب الأفكار التالية:

الفصل الأول: بعنوان "حزمة الفرح" وفيه بدأ المؤلف كتابه بعرض لنظام التعليم العالي الأمريكي بالإحصاءات والأرقام؛ حيث ذكر وجود 6000 مؤسسة تعليمية منها ما يقدم درجة الزمالة لمدة عامين، ويعمل بها أكثر من 3 ملايين شخص، ومسجل بها أكثر من 20 مليوناً وتفوق عائداتها 500 مليار دولار سنوياً بزيادة 30% مقارنةً بالخمسة عشر عاماً الماضية. ثم توجه إلى انتقاد ما أسماه (رابطة اللبلاب) وهو اتحاد رياضي يجمع الثمان جامعات الأقدم والأعرق في الولايات المتحدة، وكذلك (انفجار فقاعة التعليم) وهو مصطلح ظهر للدعوة التي تطالب بتقليل الاستثمار في التعليم العالي لما في ذلك من تداعيات اقتصادية تؤثر بشكل رئيسي ومباشر على الطلاب، وتضخم التكاليف الدراسية عليهم. كما انتقد ما اسماه ال4Rs ، ويقصد بها الحروف الأولى من الكلمات: التصنيف Ranking، الأبحاث Research، الأملاك Real estate، الأنشطة الرياضية Rah، والتي تستلزم رفع التكلفة على الطالب بعيداً عن الفائدة الحقيقية. وشبه ما تفعله الجامعات ونظم التعليم فيها بأنه كما لو أن جميع المتاجر اتفقت على عرض سلع لا يمكن شرائها سوى من قبل واحد في المئة من الناس بسبب ارتفاع كلفتها. وبيّن أن جميع هذه المعايير يمكن قياسها إلا أنها لا ترتبط بشيء يتعلق بتحصيل الطلاب وما يكتسبونه من معارف؛ حيث أن هذه المعايير تهدف إلى توضيح مركز الجامعة فقط. ومن خلالها تسعى الجامعات للحاق بترتيب أفضل 50 جامعة بحثية. ثم ناقش فيما يلي من الفصول مشكلة الإتاحة والحوكمة والبيانات في التعليم العالي.

الفصل الثاني: بعنوان "أزمة التكاليف" وذكر الكاتب فيه أزمة التكاليف الدراسية وارتباطها بالإتاحة وبيّن أن قطاعات التعليم العالي في الولايات المتحدة بمختلف أنواعها (التعليم الخاص غير الهادف للربح، والتعليم الهادف للربح) كلاهما يتسم بارتفاع تكاليفه على الطلاب مما يجعل الالتحاق بالتعليم العالي أمراً ليس سهلاً. وذكر أن التعليم العالي زادت تكاليفه بنسبة 600% بين عامي 1980م و2010م، وهو أكثر من أي تضخم حصل في أي قطاع أو منتج أخر. وذكر أنه في الوقت الحالي أصبحت مخاوف الطلاب من تراكم الديون الدراسية عليهم تفوق مخاوفهم من عدم الحصول على درجة جامعية. ويرى أن أزمة الإتاحة في التعليم الجامعي أحد مظاهر أزمة انحراف الحوافز المتعلقة بالحوكمة المؤسسية في معظم المؤسسات. ويرى أن تضخم الرسوم الدراسية أثر حتى على الجامعات نفسها بشكل غير مباشر؛ حيث إن أكثر من نصف مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة تعاني من عجز في الميزانية، وهذا العجز سببه الرئيسي ديون الطلاب الفلكية –كما اسماها-.

الفصل الثالث: بعنوان "أزمة الحوكمة" وانتقل فيه للعنصر الثالث وهو حوكمة التعليم العالي، وبين أسباب فشل حوكمة التعليم العالي وأرجعها إلى عدم وضوح الأهداف. حيث تتعدد أهداف الجامعات، وغالبا ما تكون هذه الأهداف غير متزامنة. وذكر مثالاً على الأنشطة الرياضية التي لا تضيف شيئاً لعملية تعلم الطلاب لكنها تعد نشاط يبعث على البهجة والفرح، وهي من الأنشطة الموجودة تقريبا في كل الجامعات. كما بين أن من أسباب فشل الحوكمة هو النزعة نحو التضخم الإداري للجامعات، وظهور أنواع من المطالب في الخدمات الإدارية والتي بدورها تتطلب المزيد من الموظفين لكل طالب، وكذلك تزايد في أعداد المدراء والإداريين نسبة إلى عدد الطلاب. إضافة إلى تشارك جهات عدة في الحوكمة حيث تتقاسم الجامعات الحوكمة مع أصحاب المصالح. بالإضافة إلى ظهور وتفشي ظاهرة العمداء من غير أعضاء هيئة التدريس، وهذا النظام في الإدارة يزيد من تكاليف التعليم العالي على الطالب.

وبالتالي فإن ضعف الحوكمة أثر بشكل سلبي على معيار الترتيب Ranking أكثر من غيره من المعايير. وهذا التأثير يظهر في تركيز الجامعات على الكم دون الكيف كما في الأبحاث، وعلى النتائج الثانوية دون الجوهرية، حيث تعتمد ترقية أعضاء هيئة التدريس على نشر أبحاثهم فقط وليس على نتائج طلابهم أو أسلوب التدريس ومستواه.

الفصل الرابع: بعنوان "أزمة البيانات" واستعرض فيه أزمة البيانات في التعليم العالي؛ إذ يرى المؤلف أن البيانات في التعليم العالي تستخدم عادة في قياس المدخلات ونادرا ما تقيس النتائج. كما أن الدفع أيضاً يتم للمدخلات وليس للنتائج، تماماً كما يحدث عند شراء الأدوية حيث يتم الدفع لقيمة الدواء دون التأكد من فعاليته ونتائجه. فالواجب أن يكون قياس جدوى المؤسسة من خلال القيمة المضافة للمؤسسة التعليمية وهي أداء الطلاب وجودة الخدمات التعليمية (النتائج). بينما ما يتم فعله هو تحديد قيمة المؤسسة من خلال الاشتراطات والانتقاء في إجراءات القبول (المدخلات). أيضاً من الأشياء التي لا تتم متابعتها بشكل دقيق: العاملين في دوامات جزئية، معدلات الإتمام، قياس جودة التعليم وما تعلمه الطالب بالضبط. كما أكد على أن الدرجات المسجلة للطالب في بيان الدرجات بالدورات التدريبية تحتاج إلى أن تتحول الى تعلم للطالب ويتم تسجيلها كمؤهلات تم إنجازها ومهارات اكتسبها وليس كعدد كمي للساعات. ويرى أن التعليم العالي يحتاج إلى ثورة لتعزيز عمليات القياس فيه. وأنه يجب على القادة في الجامعات الحرص على انشاء بيانات تحليلية للتعلم مع الأخذ في الاعتبار الكلفة وتوصيات العاملين في التعليم. وهو متفاءل من توجه التعليم للإنترنت في تسهيل عمليات تحليل البيانات وفي التمكين من تتبع عملية التعلم وتأثيراتها بشكل أكبر.

الفصل الخامس: بعنوان "العثور على العجائب" حيث ألقى الضوء فيه على البساطة في تصميم خدمات تعليمية أعلى؛ وهو شيء يمكن للطالب المبتدئ أن يستفيد منه. وهذا ما نفتقر إليه حاليا في نموذج الساعات المعتمدة. كما تناول ظاهرة الدورات التدريبية الجماعية المجانية عبر الإنترنت والتي تعرف اختصاراً بـ "موك MOOC " وذكر كريج أن هذا النوع من الدورات التدريبية لايزال غير ذي صلة بالعملية التعليمية طالما لم يعتمد بشكل كبير كأحد متطلبات سوق العمل. ويعتقد الكاتب أن التكنولوجيا سوف تلعب دورا حاسما في تمكين الدورات التدريبية عبر الإنترنت من تحقيق سهولة التسجيل والإتاحة والتأثير إذا ما اعتمدت وتم تسخيرها بشكل كامل. وهو ما سيحدث نقلة كبيرة للطلاب على مستوى تعلمهم وعملهم.

وأشار إلى ثلاثة تطورات مرتبطة بالتقدم في التكنولوجيا تساعد في إيجاد حلول لمشاكل متعلقة بسهولة الدخول والكفاءة. وهي:

1- **التعلم المبني على الكفايات؛** يتم من خلال تحديد القدرات المطلوبة من العاملين، ومن ثم بناء المناهج المطلوبة. وتصميم المناهج عبر الإنترنت وفقاً للتعليم القائم على الكفايات سيعمل على خفض التكاليف الدراسية بمقدار النصف. التعلم على أساس الكفاءة يمكن أن يحل محل نماذج الساعات المعتمدة وأوضح ذلك بأن الساعات المعتمدة للطالب لا تتعدى كونها قياس لزمن الجلوس وليس قياس لمدى تعلم الطالب. بينما التعلم القائم على الكفايات يجعل الطالب يتعلم حتى يتمكن وليس حتى يجمع ساعات. وأورد اقتباس من سباستيان ثرون -أحد رواد التعليم الجماعي عن بعد ومؤسس اوديسيتي Audacity- الذي يعبر عن التعليم القائم على الكفايات بتشبيهه بتعلم قيادة الدراجة، فعندما يفشل شخص ما نعطيه درجة سي Cأو ديD ولا نسمح لهم بالدخول في الدورة التالية، بينما على العكس من ذلك عندما نتعلم قيادة الدراجة نستمر في التدريب حتى إتقان القيادة.
2- **التأقلم مع التعلم وفق قدرات المتعلم وطريقته الخاصة،** فالجمع بين التأقلم مع التعلم والتعلم على أساس الكفاءة يعد التطبيق الحاسم للتعليم عبر الإنترنت. حيث يسمح التأقلم مع التعلم للطلاب بأن يتعلموا بطريقتهم الخاصة وينتقلوا من درس لآخر بما يتوافق مع أدائهم أو تقدمهم.
3- **تصميم التعلم كما في الألعاب،** إذ إن وجود التحديات ووجود الجوائز والحوافز مع الاعتراف بالعلامات في المناهج يساعد على تعزيز مشاركة الطالب وتحسين نتائجه.

الفصل السادس: بعنوان "التفكيك العظيم" و يرى كريج أن الدرجة الجامعية هي تجميع لعدد من المهام والوظائف والتي قد لا يحتاج الطالب إليها جميعاً. وبما أنه يرى أيضا أن التعليم خدمة؛ فيجب تمكين الطالب من أن يأخذ ما يريد من الخدمة المجمعة والتي –بحسب رأيه- تضيف تكاليفاً على الطالب دون أن تكون جميعها ذات مردود إيجابي عليه. ويرى أن هناك تحدٍ ظاهر بين ما يحتاجه سوق العمل وما تقدمه الجامعات. وعليه فيجب أن يكون مفهوم التجميع للخدمة أو (الخدمة المجمعة) وفق احتياج الطلاب. وأن تكون هي لب عمل الجامعة، وتضيف قيمة لخبرة الطلاب. كما يطالب بالنظر للتعليم باعتباره خدمة يتم تجهيزها مثل برمجة السوفتوير المكافئ لأجهزة الحاسوب فكذلك يكون التعليم بالنسبة لسوق العمل.

وتحدث عن فكرة أسماها "التعليم مزدوج الدرجة العلمية double-click degrees". وقال إن هذا النظام مطبق بالفعل في بعض الكليات. و أن تحويل بيان الدرجات الدراسية إلى ما يعرفه صاحب العمل بالمهارات موجود بالفعل في البرامج التعليمية التي تعتمد على التأهيل في التقييم المباشر، خاصة في جامعة اريزونا الشمالية وكوليج فور أمريكا بنيوهامبشاير الجنوبية. والسؤال هو ما إذا كان سيبقى هذا مجرد تطبيق لنوع معين من البرامج أم سيختلف بحسب معايير تصنيف التعليم العالي؟. ويبدو أنه من الصعب أن نتخيل أن مدير الموارد البشرية سيستغرق مزيداً من الوقت لبحث جميع الدورات التدريبية، والمزيد من المعلومات الواردة في بيان درجات المرشح للوظيفة. خاصة أننا في عصر يُشجع فيه على تلخيص السيرة الذاتية في ورقة واحدة لتيسير التقييم السريع من جانب صاحب العمل. وبالنسبة للطالب فإن قيمة الشهادة التي يحصل عليها أهم من تفاصيل المواد المتضمنة فيها. ودائما ما نسمع أن الحاصلين على شهادات قبل إتمام المرحلة الجامعية غير مؤهلين طالما بقي في نفس الدرجة وبغض النظر عن الدورات التدريبية التي أثقل بها مهاراته وحاول من خلالها رفع كفاءته.

الفصل السابع: بعنوان "التحضير للتفكيك العظيم" وفيه لخص الكاتب عدداً من التوصيات والتي يتوقع أن تظهر في التعليم خلال الخمس سنوات القادمة والتي ستسهل من عملية التفكيك:

- قلب عملية التعلم بحيث تقدم المحاضرات عبر الإنترنت بينما تدار الواجبات والمهام وتناقش داخل الصف ومع المعلم
- تطوير برامج عن بعد أقل كلفة من المحاضرات المباشرة.
- تحويل نظام المنح الدراسية من النظام القائم على الحاجة إلى النظام القائم على الاستحقاق.
- الاستعانة بمصادر خارجية في تنفيذ بعض الوظائف والمهام الجامعية خاصةً تلك المهام التي لا تمثل نقطة قوة مباشرة للمؤسسة.
- تفصيل أدوار أعضاء هيئة التدريس فيما يتعلق بتحقيق التطوير والتأثير والقدرة على الايصال.
- الانتقال من نموذج زمن بقاء الطالب في مقاعد الدراسة إلى نموذج الكفاءة المتحصلة.
- تحويل نماذج التعلم عن بعد إلى نماذج ذاتية بحسب سرعة الطالب وقدرته على التقدم.
- الاهتمام بالابتكار في تحقيق التحصيل للطالب بقدر الاهتمام بكيفية التوصيل للطالب.
- تقليل الانفاق على التسهيلات غير المرتبطة بحيث يكون الإنفاق موجه إلى ما يحدث داخل الفصول التعليمية بدلاً من أن يكون موجه إلى ما يعجب الجمهور ويفضلونه.

ثم اقترح سلسلة من الخطوات التي يمكن أن تتبعها الجامعات للتحضير للتفكيك العظيم– كما أسماه-إذ صاغ ست توصيات لمؤسسات التعليم العالي وتضم: إعادة التركيز على برامج التأهيل التي يهتم بها أصحاب العمل، وتقليل التسهيلات على الطلاب لوقف (التسرب)؛ حيث يتضح أن معظم الطلاب يتوقفون على الأقل مرتين عن دراستهم وأن ٥٥٪ من الطلاب فقط الذين يستكملون درجات شهاداتهم الجامعية، وتحسين الدقة في العمل

الأكاديمي وتكريس وقت أكثر من قبل الطلاب تجاه التعلم، وإقامة علاقات جيدة مع أرباب العمل، وإنهاء حالة التماثل المرتبطة بالمعايير الأربعة4Rs التي تتنافس حولها مؤسسات النخبة التعليمية، وأخيرا تعزيز الإبتكارية والإبداع. وجاءت توصيات كريج لسد احتياجات مؤسسات التعليم العالي حتى تستعد لعلاج الخلل الذي يتطلب انعكاس المؤهلات الوظيفية في المناهج وبناء علاقات مع أرباب العمل والحفاظ على التنوع المؤسسي وأن يقود هذه المؤسسات التعليمية رؤساء لديهم الإرادة للابتكار.

الفصل الثامن: بعنوان "تصدير التعليم العالي الأمريكي" وفيه قارن كريج بين التعليم العالي في الولايات المتحدة مع غيره من نظم التعليم وكيف يرى أنه الأفضل على مستوى العالم. و أن مشكلات مثل التعليم بالتلقين، والتعلم التقليدي، والغش، والمناهج غير المرتبطة، ونقص التمويل تواجه نظم التعليم الأخرى بينما يخلو منها نظام التعليم الأمريكي أو أنه قادر على إدارتها إن وجدت. ولمكانة التعليم الأمريكي يقترح أن يتم تصدير الجودة في الجامعات الأمريكية -التي جاءت ٥٤ منها بين أفضل ١٠٠ جامعة في العالم- إلى الدول الأخرى بدلاً من استقبال الطلاب لديها. ورغم أن ارتفاع المصاريف يحد من الطلب على التعليم الأمريكي وهناك تحديات أمام إقامة فروع للجامعات الأمريكية في الخارج إلا أنه يمكن لهذه الجامعات أن تصدر تعليمها عبر نموذج مختلط عبر الإنترنت، وأن الأسواق الأسيوية –على وجه الخصوص الصين والهند-ستكون المستقبل الأعظم لهذا العرض. وبعيدا عن محاولات بعض جامعات النخبة الأمريكية، يعتقد كريج أنه سيكون هناك جامعات خاصة عادية وربما إلكترونية؛ ستعمل فقط على خلق برامج للاستحواذ على سوق التعليم عبر الإنترنت. وبالإضافة إلى ذلك، قال إنه يمكن استخدام ما أسماه "مخزن التعليم" -الذي تحظى به الولايات المتحدة- في تصدير جودة التعليم الأمريكية للخارج، وخلق سوق عالمي للعلامات التجارية الخاصة بجودة التعليم العالي حيث تمتد إلى ما وراء الفروع الخارجية للجامعات الأمريكية لتضم اتحادات ليس لديها سجل تجاري فيما يتعلق بالتعليم.

الفصل التاسع: بعنوان "إدارة التغيير" وفيه انتقل الكاتب للحديث عن القيود التي تقيد الكثير من الجامعات من التجربة والإبتكار. وكيفية الانفصال من السلاسل التقليدية التي تعيق التجريب والإبتكار. وأشار إلى تفشي ما أسماه بـ"المماثلة" التي تهدد الإبتكارات التي تفتقر إليها أعراف جامعات النخبة بما يؤدي إلى عدم التوظيف الكامل الذي ينبغي أن يكون عليه قطاع التعليم العالي. وضرب مثالاً على جامعة اريزونا وكيف استطاعت النجاة من المماثلة التي تقيد كثيراً من الجامعات، ورفعت من مستوى الجودة في خدماتها. كما رفعت من نسب الالتحاق خاصة من الأقليات، وكيف ضاعفت أعداد طلابها دون أن يؤثر ذلك على تحسين النتائج و تصنيفها وترتيبها بين الجامعات. وكيف سعت إلى توسيع نطاق الوصول إلى التعليم العالي خاصة لأولئك الذين لم يحصلوا على شهادة من خلال التعليم المفتوح. وعملت مع موردين خارجيين لتوفير دورات ومقررات عن بعد في الوقت الذي تراجع فيه الدعم الحكومي للجامعات. ويعد هذا الفصل أقصر فصول الكتاب واتخذ الكاتب فيه لهجة الحث والتحفيز للمسؤولين عن التعليم العالي للتوجه نحو التغيير.

الفصل العاشر: بعنوان "قصة مدينتين" و فيه استعرض أنواعاً مختلفة من المؤثرين في سوق التعليم العالي، مثل أرباب العمل والحكومات والطلاب والمستثمرين واختلاف أهداف كل منهم بحسب مصالحه. ويعتقد أنه على الرغم من الأمراض التي تتفشى في قطاع التعليم الخاص في الولايات المتحدة بسبب سوء التوجيه من قبل إدارة التعليم الأمريكية، إلا أنها لاتزال الأفضل، لاسيما في مجال التكنولوجيا وذلك بفضل ميزانيات البحث والتطوير والاستثمار بشكل أكبر في أفكار المشروعات الناشئة. كما ذكر في هذا الفصل كيف شهدت الجامعات الهادفة للربح تراجعاً كبيراً ضرب جامعات معروفة مثل جامعة دفري وجامعة فينوكس وغيرها العشرات، والتي لم تسع إلى إحداث تغيير يتوافق مع المستجدات من حولها. ويشير إلى أن الجيل القادم من الجامعات الخاصة الهادفة للربح سيكون لديها

القدرة على صياغة نموذج وسط بالاستفادة من نجاحات وإخفاقات الجامعات السابقة. وأظهر في هذا الفصل تفاؤله من قدرة التعليم الخاص الهادف للربح على قيادة نموذج التعلم الجديد وهو ما يشير إليه بالحزم المفككة.

الفصل الحادي عشر: بعنوان "الصخب الأمريكي" وخصصه لانتقاد إجراءات وزارة التعليم الأمريكية التي تسن لوائح قطاع التعليم الخاص الهادف للربح. ويرى أن الوكالات الفيدرالية أو تلك التابعة للولاية من الممكن أن تعزز نمو التعليم العالي والابتكار، إلا أن الإجراءات الأخيرة والتي أقرتها إدارة أوباما أضرت بهذه الأهداف. والمتمثلة في وضع اشتراطات صارمة مثل إيجاد "خزانات الملفات الآمنة للحرائق" و "النسخ الورقية المكررة" لجميع المواد المدرجة؛ وهذه الاشتراطات وضعت بحجة حماية المستهلك. إلا أنها على العكس سمحت لمقدمي الخدمة من زيادة المصاريف وكذلك حماية المؤسسات التقليدية من منافسة التعليم عبر الإنترنت. أيضا هناك إشكالية أخرى تتعلق بتوحيد نظام التقييم في التعليم العالي من خلال الساعات المعتمدة، في حين أنه يمكن الحصول على النتائج نفسها في وقت أقل عبر الإنترنت دون الحاجة للالتزام بالساعات ذاتها. ويرى أنه من الأفضل للحكومات أن توحد قواعد البيانات التي تدرج الدورات التدريبية في سجل واحد تضم له إطاراً لتقييم مؤهلات الطلاب، ويتم من خلاله تتبع الإنجازات والمؤهلات التي اكتسبها الطالب على المدى الطويل. حتى تتحاشى الاعتماد بشكل أساسي على نظام الساعات المعتمدة. إذ لا تتعدى الساعات المعتمدة للطالب –بحسب رأي كريج- كونها قياس لزمن الجلوس وليست قياس لمدى تعلم الطالب. وبالتالي اعتبارها كأداة تقييم موحدة لمدى تقدم الطالب أمر غير منصف. فهناك حاجة لقياسات تستند على الكفاءة فيما يتعلق بالتوظيف.

الفصل الثاني عشر: بعنوان "تبسيط التفكيك" وفيه تحدث كريج عن نظام ذي طبقتين من التعليم العالي تتجه نحوه الجامعات وهو:

أ- جامعة النخبة المجمعة

ب- جامعة مفككة لأي شخص آخر

ويرى الكاتب أن الطلاب الذين يرغبون في تلقي التعليم المفكك عبر الإنترنتMOOCs وهو اختصار لـ (massive open online courses) معظمهم من الذين لم تتح لهم الفرصة لتلقي التعليم العالي النخبوي. وقال إننا نتجه نحو طبقتين من نظام التعليم العالي، أحدهما النخبوي المجمع وثانيهما التعليم المفكك المتاح للآخرين، مشيرا إلى أن هذا النظام سوف يكون أكثر نزاهة مما نشهده اليوم حيث الطلاب في المؤسسات غير النخبوية من المتوقع أن يحصلوا على قدرٍ من التعليم والخبرات بنفس مستوى نظرائهم في المؤسسات التعليمية النخبوية لكن بدون شهادات معتمدة!؟. الأمر الذي قد يجعلهم عرضة للإحباط. ومن هنا فإن نظام الطبقتين هذا قد يثبت أنه أفضل نتيجة للمؤسسات وهو ما قصده بعنوانه التفكيك العظيم لنظام التعليم العالي.

تقييم الكتاب

الكتاب بشكل عام هو وجهة نظر من منطلق خبرة الكاتب كطالبٍ سابق في جامعة يال ومحلل استثماري ومستشار لجامعة فينتشرز، وعمل سابقا في قطاعات تعليمية هادفة للربح وبينها Bridge- port Education ومشروع فاثوم Fathom لتعليم المجتمع عبر الإنترنت وكان تابعاً لجامعة كولومبيا سابقاً. ورائد أعمالٍ ومسئولاً تنفيذياً كبيراً في معسكرات ويلسبرينج؛ لرسم صورة كاملة عن مستقبل التعليم وتستند هذه النظرة إلى آرائه في الماضي والحاضر. وبرغم كون الكتاب يعبر عن وجهة نظر أحادية إلا أنه بسط وجهة نظره بشكل مقنع من خلال تحليل واقع التعليم العالي واحتياجات الطلبة وسوق العمل. كما أنه تنقل بين الأسباب الداعية لتبني تفكيك التعليم الجامعي وصولاً إلى التوصيات التي تسهل تحقيق الفكرة بسلالة.

إن حديثه عن كون التعليم خدمة يحق للطالب أن يأخذ منها ما يحتاجه وليس عليه دفع تكاليف لما لا يحتاجه منها، والتركيز على تقييم نتائج تعلم الطلاب بدلاً من المدخلات، والمصاريف التي يدفعونها وإمكانية الحصول على الدرجة المزدوجة... كلها أفكار تقود إلى تأييد المستفيدين لفكرة تفكيك التعليم الجامعي وترجح النظرة الاقتصادية التي ترى أن التجميع يحقق فائضا للمنتجين. أما التفكيك فينقل هذا الفائض إلى المستهلكين وربما يخلق فائضاً من المستهلكين الجدد.

وتتماشى فكرة تفكيك التعليم الجامعي مع مؤيدي نظام التعليم المفتوح عن بعد وعن طريق الإنترنت، وهي من الأفكار التي توجهت لها كثير من الجامعات، إلا أن بعض الجامعات فضلت البقاء على الأسلوب المباشر في التعليم- على الرغم من كلفته العالية التي غالباً ما يُثقل بها كاهل الطالب-، وذلك لتجنب مشكلات تتعلق بالتقييم وقياس الأثر والاعتماد وغيرها من مشكلات العزوف عن هذا النوع من التعليم. وتوجد بالفعل مناهج مبتكرة للتدريس والتعلم مثل نماذج موك MOOC إلا أنها تفتقر إلى الوصول للعامة بتكاليف منخفضة. حيث إن نماذج التعليم الإلكتروني الجماعي المفتوح (موك) قد تغلبت على مشكلة سهولة الدخول في العملية التعليمية لكنها لم تتغلب بعد على تحدي الإتاحة للجميع أو التأثير أو الاعتماد –على الأقل بعضها-، وتحتاج الدورات التدريبية عبر الإنترنت إلى أن تكون أكثر تفاعلا بما يؤدي للمزيد من مشاركة الطلاب وتداخلهم في العملية التعليمية.

وبحسب رأي الكاتب فإن إيقاف الكليات أو تعطيلها والذي يصفه بـ"التفكيك العظيم" هو سيناريو مستقبلي يهدم نظام الحصول على الدرجات العلمية ويستبدلها بمؤهلات يمكن تحديدها وفق المعروض من الوظائف، مشيرا إلى أن المنصة الرقمية عبر الإنترنت يمكن أن تكون جسراً بين المرشحين المؤهلين والوظائف التي يحلمون بها وسيكون للتكنولوجيا الدور الأكبر في تحقيق هذا التغيير المنشود.

الكتاب مليء بالأرقام والإحصاءات المولع بها الكاتب، والتي يؤكد على أنها السبيل لتجويد التعليم من خلال الاعتماد على البيانات، والذي سيجعل الأبحاث في مجال التعليم مشابهة للأبحاث الطبية الرصينة –بحسب رأيه-.

يعتمد الكاتب بشكل كبير على التشبيهات في السرد. ونلاحظ ورود تشبيهات عدة في ثنايا كتابه مثل تشبيهه لسلمان خان مؤسس أكاديمية خان بأنه نجم موسيقى الروك باعتباره الرائد الأول للتعليم على الإنترنت، وتشبيهه لنماذج موك MOOC للتعليم الإلكتروني بأنها أشبه بالفتيات الرشيقات الجذابات، وتشبيهه الكليات والجامعات بفتيات العرض في الاحتفالات و هناك شبه بين الكرنفالات وثقافة الكليات، وغيرها.

يتنقل الكاتب من فكرة لأخرى بشكل سريع ويسترسل في توضيح وجهة نظره حتى أنه قد ينتقل من نقطة لأخرى بشكل يشوش القارئ. كما أن لهجة التهكم كانت ظاهرة في تعليقه على بعض الإجراءات والتدابير التي تتخذها الحكومة وجامعات النخبة.

استند في كثير من مراجعه على خبرته وأراء المهتمين بالتعليم العالي وكذلك مراجع الأفلام والقصص الشخصية لأيامه الجامعية بهدف توضيح وجهة نظره؛ مثل استشهاده في الفصل الثاني بفيلم moneyball واستعراض قصة الفيلم لربطها بفكرته. وربما مثل هذه الاستشهادات تضعف اللغة الأكاديمية للكتاب.

وأيضاً بعض هذه الاستشهادات غير موثقة مثل ذكره لإجمالي أسعار المصاريف الدراسية بالنسبة للكليات والجامعات الأمريكية بأنها بمثابة موارد الغاز والنفط لدول مثل فنزويلا ونيجيريا وروسيا. كما أن بعضها جاء مرجعه فيها من مقالات الرأي وتقارير المستثمرين والمجلات العامة.

يتسم أسلوب الكاتب بالسرد المباشر والمتدفق للأفكار وهو ما يوضح تحمسه الكبير للفكرة وتأثره الشديد بالجانب الاقتصادي، الأمر الذي جعل بعض الأفكار تبتعد عن الجانب العلمي في الطرح خصوصا عند ضرب الأمثلة، كما أن بعضها ذُكر من واقع خبرة الكاتب- بعيداً عن التوثيق-. وبشكل عام فالكتاب جدير بالقراءة، وعلى الرغم من

غرابة الفكرة إلا أنها قابلة للتطبيق إذا ما تم تبنيها من قبل جامعات كبرى. وستحقق فوائد عدة للطلاب ولأرباب العمل على حدٍ سواء في المستقبل. كما أن فكرة تقديم التعليم القائم على الكفايات الذي أكد عليه في الفصل الثاني وكرر التأكيد عليه في الفصل الخامس والسابع، يضمن للطلاب الحصول على تعليم ذي جودة.

من جهة أخرى، تباينت أراء وتعليقات المسؤولين عن التعليم العالي وتقييمهم للكتاب؛ إذ عرض موقع أمازون – حيث متاح شراء الكتاب- مع بعض التعليقات المطروحة حوله (Amazon Editorial Reviews,2018) :

- "يتحدى هذا الكتاب معتقداتنا التقليدية حول التعليم بأفكار جادة قابلة للتطبيق؛ لذا أوصي المهتمين بقراءة هذا الكتاب" جون سيلي، مستشار في مجلس أمناء جامعة جنوب كاليفورنيا ومؤلف مشارك لكتاب "ثقافة التعلم الجديدة".
- " يعرض هذا الكتاب كيف أصبحت الكلية بعيدة المنال وبعيدة عن احتياجات الطلاب. والأهم من ذلك، أنه يشير إلى كيفية حل هذه المعضلة" ميتشل كابور، رئيس مشارك لمركز كابور للدراسات الاجتماعية ومؤسس لشركة Lotus Development Corporation لصناعة البرمجيات.
- "هذا الكتاب يمثل خارطة طريق لجميع المهتمين بالتعليم العالي، والراغبين بإعادة صناعته ويقدم ذلك في عرض متوازن للأفكار مع أسلوب مسلي نادراً ما يتواجد في مثل هذا النوع من الكتب. يجب على المهتمين التفكير مليًا في آثار هذه الأفكار على مؤسساتهم. هذا هو الكتاب الذي يجب قراءته لعام 2015م "بول لوبلان، رئيس جامعة جنوب نيو هامبشاير.
- "يعرض هذا الكتاب ثورة حول ما يتعلمه الناس، وأين يتعلمونه، بطرق لم يكن من الممكن أن نحلم بها قبل سنوات قليلة، كل ذلك بطرح مدروس وعملي قابل للتطبيق" جيمي ميريسوتيس، الرئيس والمدير التنفيذي لمؤسسة لومينا.
- "تؤثر الكليات على كل فرد وكل جزء من المجتمع الأمريكي، وينير كريج في كتابه تعطيل الكليات مستقبل هذه الكليات بطريق مسلية وممتعة" مايكل هورن، المؤسس المشارك والمدير التنفيذي لمعهد كلايتون كريستنسن.

بالمقابل انتقد البعض فكرة الكتاب أو أسلوبه أو طريقة توثيقه؛ حيث ترى جاني نابوليتون رئيسة جامعة كاليفورنيا في استعراضها للكتاب و كتابي كيفين كاري مؤسسة امريكا الجديدة nNew America Foundatio ونهاية عصر الكلية The End of College، بأن الكتب الثلاث تخلق مستقبل جديد للتعليم و فيهم أفكار لإتاحة الجامعة في كل مكان، إلا أنها تنتقد كتاب كريج لأنه لم يستطلع رأي المعنيين بهذا التفكيك وهم الطلبة بالدرجة الأولى، وارتكز الكتاب بشكل رئيسي على وجهة نظر الكاتب. أيضاً ترى أن عدم التركيز على الدرجات العلمية وما إذا كانت ستكون مؤهلة لسوق العمل أم لا جانب مهم أغفله الكاتب.(Napolitano, 2015)

وفي السياق نفسه، يرى جلبريت هنتشيك -أستاذ في جامعة جنوب كاليفورنيا -أن أفكار الكاتب غامضة أحياناً بل ومستفزة. وأن بعض استشهاداته ليست حقائق بل كثير منها قصص وحكايات. لكنه في الوقت ذاته يرى أن الكتاب جدير بالقراءة من قبل المهتمين بالتعليم العالي، وأن فكرة الكتاب بشكل عام جديدة ومبتكرة(Hentschke,2015).

بشكل عام، حظي الكتاب بانتشار واسع بمجرد إصداره عام 2015م وعلق عليه عدد من رؤساء الجامعات والمهتمين بالتعليم العالي كما ذكرنا. وقالت عنه كيسيكا هورهوف، باحث مساعد بجامعة كنتاكي، أنه أحد أهم ثلاث كتب صدرت في عام 2015م حول التعليم العالي. ولاقت فكرته حول تخفيض الرسوم من خلال تفكيك التعليم قبولاً واسعاً كونها تلامس مشكلة التكاليف الدراسية التي يعاني منها الطلاب وتظهرها القروض الطلابية (Horohov,2016).

توصيات ومقترحات:

يمكن للمسؤولين والمهتمين بالتعليم العالي الاستفادة من أفكار هذا الكتاب وخاصة في نظم الجامعات العربية من عدة أوجه، مثل:

1- زيادة الاستثمار في التعليم بما يتوافق مع احتياجات الطالب ومتطلبات سوق العمل.
2- تصميم المقررات والبرامج بناءً على الكفايات لضمان تمكن الطالب من المهارات التي يحتاجها.
3- على الجامعات العربية تأهيل برامجها للحصول على سمعة واعتماد يمكّنها لاحقا من الانتقال للخطوة التالية، وهي توفير هذه البرامج كبرامج تعليم مفتوحة معتمدة يمكن للطالب أن يحصل منها على ما يريد دون الحاجة إلى الخوض في التكاليف المرتفعة للحصول على درجة علمية.
4- إن فكرة تفكيك التعليم قد لا تنطبق على جميع أنواع نظم التعليم العالي؛ إذ يختلف نظام التعليم في كليات المجتمع و خدماته، وكذلك نظام الجامعات البحثية عنه في الجامعات التقليدية وهو ما لا يمكن تعميمه.
5- ضرورة بناء إطار عام للمؤهلات والمهارات تعتمد عليها برامج الجامعات.
6- إعادة النظر في كم ونوع الساعات المعتمدة التي تشترطها الجامعات في البرامج للحصول على الدرجة والتأكد من جدواها.
7- التنوع والابتكار في التدريس والتقويم والبرامج ووسائل عرض الخدمة في نظم التعليم بطريقة تخرج الجامعات من المماثلة الشائعة.
8- توسيع الشراكات مع الجامعات القوية والأجنبية سواء في تقديم البرامج أو منح الدرجات بحيث تتسع قائمة العرض في التعليم العالي وتمنح الطالب خيارات عدة.
9- الجرأة في قيادة التغيير مطلب رئيسي خاصة في قطاع التعليم العالي وعليه يعتمد الابتكار والتميز.
10- ضرورة التركيز على نتائج الطلاب كمؤشر أولي ورئيسي في تقييم الجامعات.
11- الاهتمام بعمليات القياس الكمي والاعتماد على البيانات لتحسين العمليات في النظم الجامعية.

قائمة المراجع:

- Amazon Editorial Reviews. Available 14 December 2018. Retrieved From https://www.amazon.com/College-Disrupted-Unbundling-Higher-Education/dp/1137279699
- Craig, Ryan.(2015). College Disrupted: The Great Unbundling of Higher Education. New York: Martin's Press. ISBN 978-1-137-27969-9
- Hentschke, Guilbert C. (2015). College Disrupted: The Great Unbundling of Higher Education by Ryan Craig (review). The Review of Higher Education. Fall 2015, Volume 39, No. 1, pp. 162-164.
- Jessica, Horohov.(2016). Ryan Craig. College Disrupted: The Great Unbundling of Higher Education (Book Review). The Review of Higher Education. Spring 2016, Volume 39, No. 3, pp. 463–478.
- Napolitano, J. (2015, March 12). Higher education isn't in crisis. The Washington Post. Retrieved from https://www.washingtonpost.com/opinions/higher-education-isnt-in-crisis/2015/03/12/f92b777e-bba2-11e4-bdfa-b8e8f594e6ee_story.html?utm_term=.25ca0200a080